مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ISSN : 1112 -7163 E-ISSN: 2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

حوارية الأنساق المنهجية في المقاربة النقدية المعاصرة، كتاب"من أجل تحليل سوسيو بنائي للرواية، رواية المعلم علي نموذجا" لحميد الحمداني عينة.

Dialogue methodological formats in the contemporary critical approach, the book "For a Sociopathic Analysis of the Novel "the narration of the teacher Ali as a model", by Hamid Al Hamdani sample.

مصيطفى عقيلة

1 – جامعة غرداية كلية الآداب واللغات، aKilamessai07@gmail. com

تاريخ الاستلام: 14-03-2021 تاريخ القبول: 06-11-2021

ملخص –

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تدعو إلى إعادة النظر في طرائق المقاربة النقدية المعاصرة عن طريق تبيان مدى حاجة النص إلى المقاربة التركيبية، من أجل قراءته القراءة المثلى، عن طريق الاستعانة بعدد من المناهج والعلوم والتخصصات، بعيدا عن أحادية النظرة وسلطة المنهج الواحد من أجل الإحاطة الشاملة بجميع مستويات النص الدلالية والجمالية؛ واكتشاف الخطابات المتعددة في النص، والقوانين المتحكمة فيها ؛ خاصة لما صار النص جامعا لثقافات وأنساق عديدة، مع تجنب الوقوع في التلفيقية حين يحتفظ كل منهج باستقلاليته، ولنجاح ذلك لابد من معرفة أسس المقاربة التركيبية وحدودها، مع توضيح إمكانية استعانة النقد الثقافي أيضا بآليات المقاربة التركيبية.

الكلمات الدالة –

المقاربة، النقدية، الأنساق، التعددية، المنهجية، التركيبية.

المؤلف المرسل: مصيطفى عقيلة: aKilamessai07@gmail. com

Abstract-

The Importance Of This Study Is It Calls For A Review In Contemporary Critical Approach Methods By Showing The Need For The Text To The Synthetic Approach, For Optimal Reading Readability, Through The Use Of A Number Of Approaches And Science And Disciplines In One Critical Lesson, Far From Mono Look And The Authority Of The Single Curriculum, For A Comprehensive Briefing At All Levels Of Semantic And Aesthetic Text; And The Discovery Of Multiple Discourses In The Text, The Laws Governing It; Especially When The Text Became Inclusive Of Many Cultures And Forms, While Avoiding Being Spoiled When Each Approach Maintains Its Independence, And For The Success Of That You Have To Know Foundations Of The Synthetic Approach And Its Limits, With The Possibility Of Clarification The Use Of Cultural Criticism Two Mechanisms Of The Synthetic Approach.

Key Words-
Approach, Cash, The Formats, Pluralism, Methodology, Synthetics.

1. - مقدمة -

تتجلى أهمية هذه الدراسة في دعوتها إلى تبني المقاربة التركيبية في الدرس النقدي المعاصر والتي تشترك فيها مجموعة من المناهج النقدية والعلوم، وهي مقاربة تطمح إلى شمولية العملية النقدية حين ترتكز على تعددية زوايا النظر إلى النص بغية التكامل و التفاعل ،طلبا للفهم الجيد والتأويل المستقيم، فتخرج من الذاتية الضيقة للمنهج الواحد إلى الموضوعية في إطار التعدد،وبذلك يجمع المنهج النقدي التركيبي مختلف المناهج النسقية والسياقية، لذلك يعد دعوة لإعادة النظر في مناهج المقاربة النقدية ومدى فاعليتها في قراءة النص ، بغية تأسيس حركة نقدية عربية .

الأهداف: تستهدف هذه الدراسة تسليط الضوء على المقاربة المتعددة التخصصات والمناهج؛ التي تطمح إلى دراسة الظاهرة الأدبية بتركيب عدد من المناهج والعلوم ذات التخصصات المتباينة؛ في شيء من المرونة والانفتاح على بعضها البعض، لتتجاوز سلطة المنهج الواحد، من أجل استكناه الدلالة النصية في مختلف مستوياتها التأويلية، واستجلاء جماليات النص وفنياته.

-البحث عن التقنيات الممكنة للإحاطة الشاملة بالنص من جميع جوانبه السطحية والعميقة، لاسيما النصوص ذات الخطابات والصيغ الأنواعية المتعددة، والمستويات الدلالية المختلفة.

-توجيه هذا النمط من القراءات إلى النصوص العصية على التلقي كالنصوص الشعرية الغامضة.

-تسعى هذه الدراسة إلى بيان حاجة النص الأدبي المعاصر إلى المقاربة التركيبية، وتبيان مقدرة هذا النمط من الدراسات على اكتشاف الخطابات المتعددة في النص، والقوانين المتحكمة فيها.

-توضيح آليات تركيب بعض المناهج المتكاملة كالمناهج النصية: الأسلوبية، الموضوعاتية، البنيوية، السيميائية، الهرمونيطيقية، التفكيكية، لكونها تنحدر من جذر معرفي واحد وهو اللسانيات.

-السعي إلى بلورة تصور منهجي شامل وملائم يسعف على تحليل الخطاب الأدبي شعرا ونثرا.

الدراسات السابقة: إن الدعوة إلى اعتماد النهج التركيبي في الدراسات النقدية تعد رؤية سابقة أسس لها عدد من الدارسين منهم بداية سيد قطب ،عبد المنعم خفاجى، جورج طرابىشي، أحمد كمال زكي وىوسف الشاروني، وعمر محمد الطالب وقد وردت بمسمى النقد التكاملي الذي اعتبره البعض خرافة أو بدعة، وأن النص ستتمزق بنيته بين المناهج ويفضي به الأمر إلى التلفيقية، ووصفه البعض بأنه خليط منهجي، لاطائل منه مادام كل منهج يستقل بأدواته وخطواته، وصاروا يطلقون عليه مصطلح المنهج المتكامل أو اللامنهج،نلمس محاولات منه للمزاوجة أوالتعدد عند كل من عبد الملك مرتاض في عدد من كتبه منها: " نظام الخطاب القرآني (تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمان)ودراسته: " ألف - ياء: تحليل مركب لقصيدة "أين ليلاي" لمحمد العيد آل خليفة، وكتابه " ألف ليلة وليلة تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد "، كذلك عبد الله الغدامي جمع في كتابه "تشريح النص"بين عدد من المناهج كالبنيوية والسيميائية والتفكيكية والأسلوبية، كذلك في كتابه "الخطيئة والتكفير"،محمد مفتاح في كتابه " دينامية النص تنظير وإنجاز "، لكن الإضافة التي نزمع تحقيقها في هذه الدراسة وتعد تنويعا هي تبيان كيفية

الاختيار بين المناهج التي ستركب في الدراسة، مع الإشارة إلى معايير وشروط التركيب، و محاولة نقله إلى النقد الثقافي .

الإشكالية: تأتي هذه الدراسة لتجيب عن الإشكالية الجوهرية الآتية:

- ما مدى حاجة النص المعاصر إلى المقاربة النقدية المتعددة المناهج، والمتحررة من سلطة القواعد والمعايير وما مبرراتها؟ وماهي مرتكزاتها النظرية والتطبيقية والمفاهيمية؟ وماهي أهمية هذا المنهج في مقاربة النصوص الأدبية ؟ وكيف يمكن تجنب الوقوع في التلفيقية ؟ وتندرج تحتها الأسئلة التالية

1 - لكل نص استراتيجياته فما مدى مسؤولية النص في اختيار منهج قراءته؟ ما معايير وشروط المنهج المركب؟ وما معايير الناقد المعاصر؟

2 -إلى أي مدى نجحت المنهجية النسقية في الممارسة النقدية المعاصرة؟ وهل تطرح النموذج البديل الذي يتناول النص من كل جوانبه؟ما هي سمات القراءة الواعية في التعامل مع النصوص؟ .

3 - إلى أي مدى يمكن للنقد الثقافي أن يستعين بآليات المقاربة التركيبية؟

4 -ماهي أسس المقاربة التركيبية عند حميد الحمداني؟وما هي مبررات لجوئه إلى التهجين المنهجي أو القراءة المركبة في مقارباته النقدية؟ وماهي استراتيجياته للوصول إلى القراءة المثلى؟

المنهج:تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي من خلال وصف استراتيجية هذا المنهج التركيبي،و قد رافق التحليل كل خطوات الدراسة ، أما المنهج المقارن فاعتمد للمقارنة بين نتائج الدراسة في ظلال المنهج الواحد وفي ظل التعددية المنهجية .

1 -علاقة الناقد بالقارئ:

إن الصلة وثيقة بين الناقد والقارئ الذي يكشف له عن دلالات النص،ويرشده إلى مواطن الجمال فيه، ليقف على قضايا عصره وموقف الكاتب منها:" تتمثل وظيفة النقد في تثقيف القارئ بإعانته على تفهم الأعمال الأدبية وكشف المغلق من مضامينها، وإدخاله إلى موطن أسرارها الجمالية، إرهاف ذوقه وحسه الجمالي، وغناء وجدانه ووعيه " (فضل، 2002)، ولقد تقلص دور الناقد إلى مجرد قارئ في الفترة التي عرفت بما بعد البنيوية أين تم الاحتفاء بالنظرية

السيميوطيقية وجماليات التقبل، الذي يعيد إنتاج النص ويكشف عن حقيقته النصية.

في النقد جانبان جانب موضوعي وجانب ذاتي،ولما مال النقد إلى جهة الذاتية صار إبداعا"ولكن النقد فيه جانب موضوعى عام يتصل بالمسائل النحوية والبيانية، وبمقدار من الذوق العام، وفيه جانب ذاتي يعتمد على الذوق الخاص ..." (الشايب، 1994)

لم تعد وظيفة الناقد المعاصر تقتصر على توصيف انطباعات ذوقية حول النصوص، تستند إلى معايير ثابتة ، ورغم الكم المتسارع للمناهج الدارسة للنص إلا أنها تفتقد إلى النموذج المنهجي الذي يحيط بالنص من كل جوانبه، والأكثر من ذلك سعي الكثير من هؤلاء إلى اعتماد لغة تحاكي لغة النص الأدبي حتى صار النقد إبداعا آخر ، ولم تعد غايته الأولى هي تحليل النصوص وتقويمها، والبحث عن مواطن الجمال فيها، والكشف عن دلالاتها، وجوانب القوة والضعف فيها.

في إطار النقد الجديد بعدت العملية النقدية عن نيات المؤلف، وكل ما له علاقة بالتصورات النقدية التقليدية، وصار النص الإبداعي ملكا لقارئه لا مبدعه.

يؤكد عبد العزيز حمودة أن مشكلة النص الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة هي إشكالية قراءة بالدرجة الأولى تثير العديد من الأسئلة الصعبة، وهي إشكالية تقع في قلب الاتجاهات النقدية التي أفرزتها ما بعد الحداثة الثقافية، التي سلبت النص سلطته وانغلاقه واستقلاليته، ونقلت سلطة التفسير عن النص وقصد المؤلف إلى القارئ (حمودة، 2003)

تتعقد القراءة لتعقد النص نفسه الذي لم يعد له جنس محدد ينتسب إليه، واكتفى الدارسون بوصفه بالكتابة: "إن قراءة كل شيء في نقد ما بعد الحداثة هي كتابة، وبذلك خلطت التفكيكية الأوراق بين النصوص المختلفة، وعدتها جميعا جنسا كتابيا " (القصاب، 2009)

وللتخفيف من ذلك التعقيد يرى الكير من الدارسين ضرورة ربط العمل الأدبي بالتاريخ الأدبي للمؤلف، والبحث عن جذور هذا العمل فيما سبقه من أعمال، وتبيان مكانته من الأعمال المعاصرة، والمشابهة له، يقول بدوي طبانة:

"فيمكن لمن يولي الموضوع اهتماما أكبر أن يعتبر البيئة الأدبية جزءا من البيئة الاجتماعية.. وربط العمل الفني ببيئته الأدبية يتم بىان موضع العمل الفني من التاريخ الأدبي للمؤلف نفسه، وهل هناك بذور للعمل الفني الجديد فيما سبقه من أعمال؟ وبيان مكانة العمل الفني بالنسبة للأعمال الفنية المشابهة" (بدوي، 1986)، ذلك أن النصوص دائبة التغير في أشكالها مما يستوجب تطور النقد باستمرار، ومادامت النصوص في بنيتها تعتمد على اللغة وإن تغيرت محتوياتها، جاز للناقد أن يدرسها بطريقة واحدة: " لايهم الفرق بين نص وآخر من حيث المضامين والمحتويات ..، وإنما الذي يهم كيفية انبناء الخطاب، وطريقة تشكله وآلية اشتغاله،هنا يمكن الجمع بين النص الفلسفي والنص النبوي، إذ كلاهما يشكل نصا لغويا، كلاهما يتألف من وقائع خطابية لكل نص آلياته الخاصة في إنتاج المعنى،وله استراتيجيته المختلفة،ولكن هناك آليات عامة تشترك فيها النصوص" (حرب، 2005)، نظرا لما يتضمنه النص من خصائص شكلية ومضمونية، فإنه يختار المنهج الذي يقرأ به " العلاقة بين النص والناقد تقوم على نوع من التكامل والوظيفة المشتركة " (حسن، 2011)

2 -معايير وشروط الناقد المعاصر المنفتح:

1 -2 -موسوعية الناقد: صار يشترط في الناقد المعاصر جملة صفات في مقدمتها اتساع ثقافته حتى يتمكن من الإحاطة بالظاهرة اللغوية، يقول حسن خمري " يحاول الناقد أن يرمم الفجوات التي يحتويها النص بالإضافة إلى أنه يصير المعاني الغامضة واضحة عن طريق مقاربتها داخليا، ... ولهذا يتسلح الناقد بثقافة واسعة وقدرة على الاندماج في عالم النص " (حسن، 2011)

فلابد للناقد أن يكون واسع الثقافة شامل المعرفة بكل ما يتعلق بمناهج النقد السياقية والنسقية.

لماصار للنص طابع العصر من الغموض والتعدد والمراوغة، صار لزاما على الناقد أن يتصف في المقابل بهذه السمات: "نظرا لتشابك المضامين داخل النص الواحد في محاولة للقبض على معنى الواقع المركب، يحتاج الناقد إلى عدد كبير من المعارف لكي يستطيع القبض على هذه الأوجه المتعددة للواقع، وبما أن الواقع الموضوعي يتداخل فيه الاقتصاد والسياسة والاجتماع والتاريخ، والثقافة والحق، فإنه على الناقد أن يكون له إلمام بهذه المعارف. (حسن، 2011) وبتنوع

ثقافة الناقد يصبح نقده منتجا: " النص لا يقول الحقيقة بل يخلق حقيقته، فلا ينبغي التعامل مع النصوص بما تقوله وتنص عليه..بل بما تسكت عنه ولا تقوله". (حرب، 2005)

في إطار مرحلة ما بعد البنيوية اتجه النقد نحو التعددية بالانفتاح على الثقافي والواقعي والمجتمعي والتاريخي والاقتصادي والمنهجي، فلم يعد الانغلاق على آليات منهج واحد في الدراسة مجديا للإحاطة بكل جوانب النص، وعليه صار لزاما على الناقد المعاصر أن يكون موسوعيا في ثقافته، منفتحا في تقنيته فيقبل تحاور المناهج:"لايمكن دراسة نسق الأدب على أساس أنه بنية مغلقة، أو نسق ستاتيكي مسيج بالعناصر الداخلية الثابتة..بل هو نسق دىاكروني مركب بامتياز، يتكون من مجموعة من الأنساق المتعددة.. في إطار بنيوية وظيفية ديناميكية منفتحة على الذات، والمرجع، والمقصدية، والسياق التداولي، والثقافي، والواقعي، والمجتمعي.. وهكذا، تؤمن نظرية الأنساق المتعددة بانفتاح النظام أو النسق على المحيط الخارجي." (حمداوي، 2019)

2 -2 -**معرفته بمناهج الدراسة النقدية المعاصرة:** و هو ما يهيئه لفتح مجال الاجتهاد بحثا عن منهج متكامل تتكامل معه دراسة النص، فيسهم في وضع آليات هذا المنهج المتكامل، الذي هو أساسا عبارة عن توليفية لمناهج ، دون أن يوقعه ذلك في فوضى نقدية وعدم انضباط؛ " إن النقد العربي قد دخل في مرحلة ما بعد الحداثة في حالة من الغموض والفوضى التي خلقت لدي الكثيرين إحساسا قويا بالحنين إلى انضباط الماضي ونظامه القيمي الواضح. (حمودة، 2003)

2 -3 -**القدرة على الاختيار والانتقاء:** يشترط في الناقد مقدرته على التقاط الآليات المناسبة من المناهج المركبة بانتقائية، والتي يمكن أن تفيد في كل مقاربة وتعين على إصدار أحكام متكاملة.

2 -4 -**القدرة على التركيب:** وهو الجمع بين عدة مكونات وفق استراتيجية معينة تراعي طبيعة النص المدروس ومتطلباته،بأن تكون للناقد القدرة على التوليف بىن المناهج، ويكتسب ذلك من الممارسة الواسعة والثقافة في شتى المجالات الأدبىة من أجل تفسىر العمل الأدبي وتقىيمه.

ومنه بدأ السعي لدى العرب لوضع أسس المقاربة التركيبية، وطمح إلى ذلك في بداية هذا العصر سيد قطب، وشكري فيصل، وشوقي ضيف، ونعيم الوافي طه حسين، وفي تحديد وظيفة الناقد يقول عبد العزيز حمودة: "سلطة النص هي قدرة النص على تقدىم معنى ملزم للمفسر، وحتى حينما تتوالى عمليات التفسير، داخل المذهب النقدي الواحد، أو في المدارس المختلفة، أي تقديم تفسيرات متعددة، وهو ما نسميه بتعدد الدلالة.. ووظيفة النقد ليست إعادة بناء النص، بل مساعدة النص في تحقيق معنى أو توصيله. " (حمودة، 2003)

2 -5 -**حرية الأداء النقدي:** يستوجب ذلك أن يتمتع الناقد بقدر من الحرية حتى يتسنى له الانتقاء بين المناهج:"فتنفتح الرؤية على الآخر حيث يجد الناقد نفسه قادرا على صهر التعدد في الأفكار والاختلاف ... وهو في هذا كله يتيح لنفسه الحرية في تبني الرؤى والتقنيات" (أحمد، 2016)

وتشمل حرية الناقد أيضا قدرته على الإفادة من أدوات متعددة أدبية وغير أدبية " ومن خلال القراءة غير البريئة فإن المؤول قد يفيد من أدوات تأويلية من خارج النص الأدبي، ومن خارج دائرة اللغة كتأويل الشعر بالشعر أو بالأدب عامة، أو بمناشط الثقافة العديدة التراثية وغير التراثية، والمحلية وغير المحلية، مما يوسع دائرة النظرة إلى النص الأدبي" (مريسي، 2000)

3 -**النص الأدبي بين أحادية النظر النقدي وفتنة القراءة المتعددة المناهج:**

إن توجه النص نحو القراءة المتعددة في ظل المناهج المعاصرة هو تجاوز للسلطة والمركز فلا وجود لنقطة بداية ولا وجود لمركز أو أصل، (حمودة، 2003)

تبدو تلك المناهج النقدية الغربية التي تهاتف عليها الدارسون العرب في تصارع دائم يصحح بعضها بعضا، ولم تستطع أن تكتسب الصيغة الشاملة المتكاملة نظرا لاتصاف كل منهج بسمات إيجابية وأخرى سلبية، والتي يمكن تصنيفها إلى نمطين.

3 -1 - **المناهج النقدىة السىاقىة:** والتي تتناول النصوص بالتحليل من خارجها كالمنهج التارىخي والإجتماعي والانطباعي والنفسي، من خلف ذلك فلسفات وإيديولوجيات مختلفة انبثقت عن تحولات المجتمع الغربي،وفي ظل المناهج السياقية يغيب من الدراسة جوهر النص كظاهرة لغوية جمالية،

يقول حسن خمري: "إن النقد الذي يبتعد كثيرا عن جوهر النص بدعوى البحث عن القرائن التاريخية والاجتماعية لينتج بعد ذلك نصوصا موازية.. لا ترتبط بالنص الأدبي إلا بنقاط تماس واهية هو نوع من القفز خارج حلبة الإبداع، واعتبار النص وسيلة لا غير" (حسن، 2011)

3 -2 -المناهج النقدية النصية النسقية: تتناول النص من الداخل، وتتابعها في الظهور كان لاستكمال نقائص بعضها البعض، مستفيدة من التطور الفكري والعلمي،فالبنيوية تحتفي بنسق النص وبنيته مستبعدة السياق النفسي و الاجتماعي و التاريخي، وتعتبر اللسانيات البنيوية جذرا لأغلب المناهج النقدية المعاصرة كالأسلوبية والسيميائية،والتفكيكية ونظرية التلقي، وكل نص له ما يناسبه من مناهج في التحليل والنقد: " ذلك أن المذاهب الأدبية ومثلها المناهج النقدية هي صور لفلسفات وعقائد وإيديولوجيات، وتصورات سياسية واجتماعية وغيرها " (القصاب، 2009).

بينما تأسست نظرية التلقي في مقابل البنيوية، ولم تتطور عنها، حين استقطبت الجهات التي أقصتها البنيوية من الدراسة كتجاهلها للسياقات الخارجية، لتنقل استراتيجية التحليل النصي وسلطة التفسير إلى القارئ؛ حين يلقي على فراغات النص وفجواته بعض مهاراته وخبراته وتصوراته و ورؤيته للحياة، ليصبح المعنى تابعا له، والذي يتعدد بتعدد القراء.

وهكذا تراوحت العملية النقدية في ظل المناهج النقدية المتصارعة بين الوصف الظاهري الداخلي للنص كالمنهج البنيوي اللساني والمنهج الأسلوبي والمنهج السيميائي، وبين التفسير والتأويل كالبنيوية التكوينية والمنهج التأويلي (الهرمونيتيقيHerméneutique).

- ونظرا لمعطيات كثيرة منها: غياب منهج شامل يعالج النص الأدبي في كل مستوياته الدلالية والشكلية، ونظرا لكون هذه المناهج انحدرت من بيئات وثقافات مناوئة لثقافتنا وهويتنا، كذلك آليات النقد التراثي لم تعد تنسجم في معظمها مع مستجدات النص الأدبي وتطوراته، بالإضافة إلى الاعتقاد بعدم جدوى ،و عدم كفاية المنهج الواحد و أحادية النظر في تشكيل النص الأدبي أو قراءته لتركيزها على جزئية من النص، ولتعقد وتشابك الظاهرة الأدبية، مما سيسفر عن نتائج منقوصة،و يجعل العملية النقدية سطحية ومحدودة النتائج،

لذلك لابد من الإجراء التركيبي، وهو ما دعا إليه ثلة من النقاد المؤمنين بضرورة انتقاء الآليات من كل منهج في شيء من الانتقائية، من أجل انسجام المنهج الدارس واتساق عناصره، وطموحهم هو الارتقاء بدراسة النص الأدبي نحو الأحكام المتكاملة التي تحيط بالظاهرة في سطحها وعمقها، وكل جوانبها، فتلغي هذه المناهج التناقض، وتتآلف في إطار الوحدة والتكاملية التعددية بصهرها في بوتقة واحدة.

وقد أثبتت التجربة عدم مقدرة المنهج الواحد على تناول النص تناولا شاملا مقنعا:"كل النظريات النقدية مهما أوتيت من الدقة في التحليل والعمق في الرؤية تبدو عاجزة عن الإحاطة بكل إشكاليات النص، ومن هنا نتج عدم وجود أحكام نهائية في النقد الأدبي " (حسن، 2011).

لذلك صار النقد المعاصر يسعى إلى المقاربة الشمولية رافضا المعالجة التجزيئية للنص التي تهتم ببعض الأجزاء دون أخرى، ومن هنا كان المنهج الواحد بآلياته قاصرا في الاهتداء إلى حقيقة النص، لذلك لابد من التكامل:"من النتائج العلمية أن المنهاجية الشمولية إذا حللت عناصر كل بنية وكشفت عن خصائصها، واهتدت إلى القوانين التي تحكمها، ثم استخلصت الوظيفة الجامعة بينها فإنها تؤدي إلى الكشف عن نظام العناصر وانتظامها وإلى إحلال كل عنصر مرتبته ودرجته ضمن النسق العام،وإلى تجنب المقاربة التجزيئية. "(مفتاح، 1996)

وإن كانت هذه المقاربة تفتقر إلى جهاز مفاهيمي موحد نظرية وتطبيقا، وإلى الاصطلاحات الخاصة والأدوات المنهجية.

ولقد صار الطموح إلى المقاربة الشمولية مطلبا ملحا لتعقد الظاهرة الأدبية المعاصرة عامة وغموضها، ذلك أن استراتيجية النصوص عامة والأدبية خاصة أنها تقوم على الخفاء والتستر، ولا يتيسر على القارئ أمرها إلا بمشقة: " استراتيجية النص في أنه يقوم على جملة من الألاعيب والإجراءات يمارس الخطاب من خلالها آلياته في الحجب والتبديل والنسخ، والنصوص سواء في ذلك، وإن تفاوت نص عن آخر في القوة والشدة. " (حرب، 2005).

فلما آمن الأدباء بضرورة انفتاح الأدب على الفنون الأخرى الأدبية وغير الأدبية، ورأوا ذلك تطويرا للأدب، آمن النقاد أيضا بضرورة التطور ولا يحدث

ذلك إلا بالتراسل بين المناهج: "تتفاعل الأجناس الأدبية، في تطورها التاريخي، والفني، والشكلي، والجمالي فيما بينها،بتبادل العناصر والمكونات والبنيات،إن على مستوى الشكل، وإن على مستوى المضمون" (حمداوي، 2019)، وربما تفرع كل منهج حتى صار شجرة مناهج ،تسبب في ذلك الفيض المتجدد للنصوص الأدبية .

تتعدد مناهج الدراسة النقدية لتعدد زوايا النص،ولتغطية النقص الحاصل في الجانب التطبيقي حيث يستعير الناقد آليات متعددة من عدة مناهج هروبا من ضيق المنهج الواحد وصرامته.

تستمد هذه المقاربة مشروعيتها من فلسفة التعدد والتنوع، ومنطق المغايرة والاختلاف، ففي الوقت الذي يعتبره بعض النقاد خليطا منهجيا من منطلق أن لكل منهج قواعده وأسسه المائزة، يراه البعض حاجة ملحة لاتساع أفق النص الأدبي، ولضحالة، النتائج التي تستنبط حول النص باعتماد منهج واحد، دون الحط من شأن إجراءات وأدوات أي منهج، وإنما يجب فسح المجال أمامها جميعا، وفي ذلك الجمع شيء من الائتلاف وليس الكمال. ولا منهج يستطيع الجزم بقدرته على الوصول إلى الكمال ، وطموح المنهج التركيبي المتعدد هو تقديم قراءة متعددة الأوجه .

4 -المقاربة التركيبية :معاييرها ،آلياتها وحدودها:

-إن اللجوء إلى القراءة المركبة له ما يبرره؛ من ذلك ما يسجل على المناهج من إقصائها لبعض العناصر الأساسية المسهمة في بناء النص؛ كإهمال البنيوية للمعنى اهتماما بالنسق دون السياق، علما أن القراءة تتغير بتغير أحوال القارئ الثقافية " إن عملية القراءة عملية انتخابية..وثمة حقيقة تقر بهذا مفادها أن قراءة ثانية لقطعة أدبية ما تحدث غالبا انطباعا مختلفا عن القراءة الأولى، وربما يكون مرد ذلك إلى تغير ظروف القارئ الخاصة، ومع ذلك ينبغي للنص أن يتيح هذا التغيير " (جين، 1998)، والتركيب لا ينتصر لمنهج معين بل يستعين بمناهج عدة حسب ما تقتضيه طبيعة النص المدروس، وقد كان ستانلي هايمن هو الرائد في هذا المجال من خلال كتابه" الرؤية المسلحة " 1947، حيث دعا فيه إلى تجميع عدة مناهج في القراءة الواحدة، لكن وفق شروط ومعايير حتى لا يكون الأمر خلطا منهجيا دون ضابط، إذ لابد للناقد من منهج يتخذه

نقطة ارتكاز في الدراسة، وتكون المناهج الأخرى مساعدة له، دون أن تفقد الدراسة خطتها المنهجية الأصل ونظامها، إذ لابد من اتساق حاصل بين الآليات المنهجية المركب بينها، سعى إلى مثل هذه الدراسات سابقا كل من أحمد هيكل، وحسام الخطيب، وسامي سويدان، والتعددية تعني التركيب الذي يقصد به تذويب عدة عناصر فيزيائيا بانتظام في النسب، فيفضي الأمر إلى مخلوق نقدي جديد له طبيعته الخاصة، ولا ينفصل عن مكوناته الأولية المشكلة، على أن الأمر لا يتأتى في يسر إذ لابد من مقومات وشروط تؤطر عملية التركيب بين المناهج:

4 -1 -**الحوارية والانفتاح على الآخر زمانيا ومكانيا:** وذلك بغية تبادل الثقافات والمعارف، وذلك بقبول الانفتاح على مختلف التقنىات النقدىة، فيؤدي ذلك إلى انفتاح الدلالات والمستويات أمام النقد:" لما لم يكن بد من تدخل الناقد في توجيه عملية التأويل من خلال ما يملك من خبرة، ومعرفة يسقطها على النص، .. ظهرت قضية المتقبل المبدع الذي لا يقف عند كشف قيم النص المعرفية والأدبية بل يسهم في تشكيل ذلك النص..وبهذا تتعدد مستويات التأويل بتعدد القراء، ومتقبلي النص الواحد... يستوي في ذلك الناقد البصير بجوهر ما ينقد والمتقبل العادي الذي يملك الحس الفطري، ولا يملك الخبرة المصقولة بالممارسة" (مريسي، 2000).

4 -2 -**تحرر المقاربة النقدية:** فالمقاربة التي صار يتطلبها النص الأدبي المعاصر هي تلك المتحررة من سلطة القواعد والمعايير: "التفكير النقدي الفعال والحيوي، يبتكر ويتجدد بالتحرر من الضوابط التي يتقيد بها حراس العقائد وحماة الهوية، أو بخرق القواعد والمعايير ." (حرب، 2005).

4 -3 -**البحث عن التكامل والدينامية:** يؤكد أحمد ملحم ضرورة التكامل عن طريق استحضار عناصر أخرى في القراءة مع بلورة رؤية منتجة؛ بصرف النظر أنها شرقية أو غربية قديمة أو حديثة؛ يعطى من خلالها للنص فرصة الحضور أكثر مما تعطى للناقد الذي يسعى إلى إحلال الإيديولوجيات والفلسفات والنظم المفاهيمية التي تربك القارئ أكثر مما تضيء له النص، وهذا لا يمنع حسبه من استعمال التقنيات الفنية الناجحة التي جاءت بها تلك المناهج، ويتم استدعاؤها بحسب حاجة النص إليها في التحليل، فيصبح منهجا يتسم بالحيوية وليس الجمود. (أحمد، 2016).

وقد يقع التكامل نقديا بين منهج نسقي وآخر سياقي، وخير مثال لذلك تجربة لوسيان غولدمان في البنيوية التكوينية؛ والتي تعد نمطا نقديا تركيبيا ، تجاوز به أحادية المنهج، حين وفق بين السياق التاريخي والاجتماعي وبنية النص اللسانية، ثم عمد إلى تفسير البنيات الخارجية في المجتمع من خلال العلاقات بين داخل النص وخارجه، لذلك فأساس المنهج التركيبي يبنى على استدعاء عدد من النظريات المختلفة من مصادر متباينة، وذات السمة اللسانية من أجل رؤية نقدية شاملة ومتعددة الأوجه، ويهيء ذلك للناقد تحكمه في آليات المناهج المختلفة .

4 -5 -**تجنب التلفيقية:** يجب الحذر من التلفيقية في توظيف مناهج عدة في القراءة الواحدة بحيث يحتفظ كل منهج باستقلاليته ،لكن مجرد التجاور حسبه "بين عناصر غير متجانسة يتحول في الممارسة العملية من رغبة التوفيق إلى واقع التلفيق فتشبه مرقعة الدراويش الذين تتكون ثيابهم من عشرات إن لم يكن مئات القطع الموصولة بلا نسق ." (عصفور، 2014).

4 -6 -**التجميع والتركيب:** ونظرا لاختلاف زاوية النظر التي يتناولها المنهج النقدي، اشتدت حاجة النص إلى التجميع والتركيب: " ومن هذا الاختلاف بين النقاد في مناهجهم تعددت جوانب النظر إلى الأعمال الأدبية، وعن هذا التعدد نشأت المذاهب الأدبية أو المذاهب النقدية المعروفة، وهي في الأصل نظرات ذاتية في الأدب وجدت من يرتضيها ويدافع عنها ". (بدوي، 1986).

وعن القراءة في ظل التركيب ووفق صفات الشمول والتكامل يشير جابر عصفور إلى ضرورة اتساق منطقها الداخلي بعيدا عن المعيارية، ودون التذبذب بين أكثر من منظور ،بعيدا عن صفات التوفيق التي يمكن أن ينقلب إلى تلفيق ،فالناقد المقتدر يصطنع منهجه من تركيب الظواهر والأساليب العملية باستعارة أفضل آلياتها والموازنة بينها،ثم يركب منها خلقا سويا لا تشويه فيه،دون أن يطرح كل العناصر الجيدة في قدر واحدة، وخلطها معا كيفما اتفق، وإنما يتخذ الناقد صفة البناء، الذي يبني وفق تصميم مخطط،ثم توظيف الملائم من آلياتها. (عصفور، 2014)

لكن عملية التجميع والانتقاء ثم التوظيف عملية مضنية وفي غاية الصعوبة على غير المتمرس، إذ يصعب إيجاد نقد تركيبي يؤلف بين الطرق

والأساليب العلمية: "..صعوبة تشكيل خطاب يتحرر من سلطة التراث . وفي الوقت نفسه، تحرر من سلطة المناهج والنظريات " (أحمد، 2016).

4 -7 -**اللغة النقدية:** يجب أن تكون لغة الإجراء النقدي التركيبي منضبطة في المصطلح والمنهج ،وإلا وقع الدارس في فوضى القراءة، فلكل منهج مصطلحاته، وإن صار النقد في مرحلة مابعد الحداثة إبداعا يضاهي النص الأدبي" لقد بالغ التفكيك في إصباغ صفة الأدبية على النقد تنظيرا وتطبيقا، فاهتم النقاد التفكيكيون بلغة كتاباتهم من أجل تحقيق الأدبية لنقدهم" (القصاب، 2009)، ولكن البحث عن منهج شامل للمقاربة النصية يقتضي توحيد المصطلح اللساني المتعدد من ناقد إلى آخر أولا، لاسيما أمام أزمة تبني المصطلح الواحد:"ثمة صعوبة في إيجاد مقابل للمصطلح اللساني الغربي الحديث في اللغة العربية إذ لا يجمع اللسانيون العرب على تبني مصطلح واحد .. الحديث أمام التطور المدهش والمتتابع للأبحاث اللسانية في العالم الغربي، ودخول العديد من مفاهيم اللسانيات ومصطلحاتها في المقاربة النقدية للنصوص الأدبية، ليتبين القارئ صعوبة تبني مصطلح عربي موحد مقابل المصطلح الغربي في غياب جهد عربي جماعي وشامل" (الكتاب، 1997)، وعن إبداعية النص النقدي يتحدث عبد العزيز حمودة أن لغته لم تعد لغة ثانية بل أولية، تماما مثل لغة النص الإبداعي (حمودة، 1998)

-كما يشترط في هذه اللغة النقدية الوضوح إذ المنهج النصي في حاجة إلى تحليل لا إلى تنظير.

على الناقد قبل التركيب بين عدة مناهج أن يختار المنهج المرتكز والمهيمن في الدراسة الذي يلائم طبيعة النص حتى لا يقع في مشكلات قد تمس الثوابت والمقدسات كما حدث مع النص القرآني؛ الذي تعامل معه بعض الدارسين كظاهرة لغوية بصرف النظر عن مصدره الإلهي: "بعض النقاد العرب يستخدمون المصطلح النقدي والأدبي الغربي بكل دلالاته، ويصلون إلى نفس النتائج التي توصلت إليها الحداثة الغربية .. فلا نص ولا دلالة ثابتة، ولا تفسير نهائي للنص، لا تفسير مفضل أو موثوق به...فإن أرض الواقع الحضاري والثقافي العربي ليست مستعدة لتقبل ذلك.. الترف الذي أوصل الثقافة الغربية إلى ما أسماه شكري عياد"أنسنة الدين " (حمودة، 1998).

5 -النقد بوصفه فعلا ثقافيا، وانفتاحه على الثقافي: لاعتبار أن الأدب شكل من أشكال الثقافة سعت الدراسات المعاصرة إلى تناوله هو الآخر وفق معطيات النقد الثقافي، يرى باختين أنه على الأدب قبل كل شيء أن يوطد علاقته بتاريخ الثقافة، إذ الأدب جزء من الثقافة، ولا يمكن التوصل إلى فهمه إلا في ظل السياق الذي تمثله الثقافة (باختين، 2011)، ولقد استفاد النقد الثقافي كثيرا من آليات المناهج النقدية، يرى بسام قطوس أن الثقافة أعم وأشمل من النقد، لكنها تستمد أدواتها منه، وفي الآن ذاته لما يقوم النقد بفعل الشرح والتفسير في رحلة البحث عن المعنى والقصد. (قطوس، 0000).

- انفتح النقد اليوم على الأفق الثقافي الواسع بخلفياته المعرفية المتعددة من شأن ذلك أن يطور آلياته وأدواته، يعد النقد عملا ثقافيا بالأساس وشكلا من أشكالها،: " والممارسة النقدية هي أصلا ممارسة ثقافية لأرقى أشكال الثقافة، وجميع الاتجاهات النقدية انبثقت من خلفيات معرفية: فكرية، وفلسفية، وجمالية، وكلها تشكل جزءا من الثقافة.... والمناهج النقديه تمارس فعلا ثقافيا، لأن النقد أصلا هو فعل ثقافي" (قطوس، 0000).

-يتركب النص في تشكيله وبنائه من نسقين: نسق جمالي يربطه بالأدب من خلال اختيارات المبدع اللغوية والأسلوبية و المضمونية، بالإضافة إلى موقفه من الكتابة، وطريقة إبداعه، ونسق آخر يتكامل مع الأول يتعلق بالأنساق الثقافية التي تعكس موقف الكاتب من محيطه ومن العالم

"تحدد هذه المقاربة المهيمن والخاضع.. بتبىان النماذج والمعايير والأنساق المتحكمة في الساحة الثقافية التي تطرح أسئلة جادة ومؤرقة، وتبيان الظواهر التي تحتل موقعا مركزيا والظواهر التي توجد على الهامش.. وتؤمن النظرية كذلك بتعدد الأنساق. " (حمداوي، 2019).

إن الطموح إلى تعددية المناهج في القراءة النقدية هو طموح نحو تعددية الثقافة حسب الغدامي من أجل الخروج من المركزية الثقافية ذات الوجاهة الراسخة" (الغدامي، 2005)

وليست هذه المقاربة التركيبية حكرا على النقد الأدبي فقط، بل يمكن توسيعها لتشمل أنساقا ثقافية أخرى، لكن على الناقد أن يميز بين العمل الأدبي الخالص والعمل الثقافي النسقي:"وإن الخلل الثقافي في النقد الأدبي وفي

الاستقبال الأدبي الخالص هو في عدم تمييزه بين الجمالي المجازي من جهة، وبين العلامات الثقافية النسقية من جهة ثانية " (الغدامي، 2005).

6 -المقاربة التعددية في النقد الثقافي والوحدة النسقية:

إن مجال تطبيق الآليات النقدية واسع يتجاوز النص الأدبي إلى كل الأنظمة الدالة الأخرى التي تعد خطابا، فلابد من تحرير الأداة النقدية من قيود المؤسسة الأدبية: "لا بد أن نخلص ما هو أدبي من حده المؤسساتي، ولابد أن نفتح المجال للخطابات الأخرى المنسية والمنفية بعيدة عن مملكة الأدب،كأنواع السرد وأنظمة التعبير الأخرى غير التقليدية وغير المؤسساتية " (الغدامي، 2005)

لذلك لابد من الاتساق بين الآليات التي استدعيت من مناهج عدة:"ما يهدف إليه معيار اتساق القراءة في هذا السياق هو الوحدة النسقية لأصولها النظرية وعملياتها الإجرائية" (عصفور، 2014). ،وعملية التركيب هذه تشترط مقدرة واحترافية لدى الناقد المعالج: " والناقد المتعمق لا يمكننا من أن نصنفه بسهولة، لسبب بسيط هو أنه لكي يتعمق في عمل ما عليه أن يستغل كل الفروع، ويبارز كل المناهج التي تحاصره" (أندرسون، 2000).

إن النسق المنهجي الساعي إلى التكامل في ظل النقد الثقافي يصبح ممكن التحقق عن طريق الانفتاح على الأنساق المنهجية الأخرى: " يمكننا أن نرصد عددا آخر من النقاد حريصين على التعرف على الجديد في النقد الأوروبي لكنهم يتعاملون معه بقدر من الوعي بأصوله من ناحية،وبنوعية احتياجهم إليه من ناحية أخرى، مؤمنين بالقدرة على الاستفادة منه في التطوير والإنماء عبر تخليص عناصره من محمولاتها " (بحراوي، 1993).

7 -التعددية المنهجية في المقاربات النقدية عند حميد الحمداني:

7 -1 -المنهج المركّب والقراءة المتعدّدة للنص الأدبي من منظور حميد الحمداني:استطاع حميد الحمداني خلال عقود من الممارسة النقدية والبحث الجاد إنتاج نسق معرفي متكامل ومتلاحم العناصر يقوم على صرح ابستمولوجي متين، حيث سار في كتاباته نحو التعدد المنهجي، فتتداخل الأنساق المنهجية في مقارباته مستعينة بما جد من تطورات معرفية على الصعيد النقدي والأدبي؛ من شأنها أن تضيء جوانب الخطاب الأدبي، معتمدا القراءة الكلية التي تطال جميع العناصر ،وهي منهجية أملتها طبيعة النص المعاصر التي صارت تميل نحو

التعقد، والتركيب من مستويات عديدة، صار معه من غير الممكن الاعتماد على أحادية المنهج لقراءة النص في شموليته، وهو يدرك جيدا مخاطر الخوض في الانتقائية والتلفيقية لنظريات متعددة؛ لكنه تناول منها العناصر التي من شأنها تطوير وصياغة نظرية شاملة، مستندا إلى مناهج ونظريات لسانية عديدة، باحثا عن العناصر القابلة للتوظيف في إطار تشاركي وتكاملي منسجم، فاستطاع أن ينشئ تصورا شموليا للنص الأدبي خاصة النص السردي يقارب بين المنجزات الغربية الحديثة والقديمة، وقد دعا إلى الانفتاح على النظريات الجديدة دون بحث عن بدائل جاهزة تماما قبل مساءلتها ومناقشتها للبحث عن نقائصها وثغراتها، للتوصل إلى آليات الانسجام والتفاعل و، بناء نظرية تفاعلية .

عرف حميد الحمداني بمساره النقدي المنفتح الذي لا يطمئن إلى منهج واحد في المقاربة النقدية ، فصار كثير التطلع لتقنيات مستمدة من مناهج أخرى، لذلك رأى التهجين المنهجي حلا لمعضلة النص الجديد ليغدو أكثر عطاء.

فتنقل دائبا من المناهج السّياقيّة نحو المناهج النّسقيّة ليصل به المسير إلى التركيب المنهجي المفتوح الذي رآه حلا سليما مجديا،والنهج التّركيبي أو القراءة المركبة التي يدعو إليها بوعي مستفيض تختلف عن الإجراء التّكاملي، لحرصه على التجانس والتناسق والترابط في التركيب ، يتم ذلك لديه من خلال المزاوجة في حوار نقدي معمق بين مفاهيم التّراث النقدي، وبين التقنيات المعاصرة.

ومن خلال تلك التوليفة المنهجية الكلاسيكية والحداثية يتشكل المشروع النقدي المركب عند حميد الحمداني، مستهدفا بذلك النص الأدبي السردي خاصة في بنيته اللّسانية والجمالية والإيديولوجية،

والهدف من وراء ذلك هو الكشف عن البنيات الموضوعاتية والنفاد إلى البنية العميقة .

أوضح حميد الحمداني مقصده من هذا التجميع بين النظريات والمناهج المختلفة وهو الوصول إلى القراءة المثلى الشاملة لكل جوانب النص شكلا ومضمونا وفق جملة من الاستراتجيات، وببحثه عن الأسس المعرفية والمنهجية

لتلك المناهج والنظريات كشف عن قواسم كثيرة مشتركة بينها بإمكانها أن تشكل كلا منسجما ومتماسكا.

7 -2 - المنهج السوسيونصي عند حميد الحمداني من خلال كتابه"من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية،رواية المعلم علي نموذجا":

حاول حميد الحمداني أن يقترح مشروعا نقديا يراعي الخصائص الجمالية للنصوص وفق منهاجية نسقية، مستفيدا من التراكمات المعرفية والمستجدات المنهاجية، مقترحا تصورا شاملا لدراسة الظواهر النصية في تعددها واختلافها، وتأتي هذه الأطروحة للحد من التشرذم واللانظام،والانغلاق في الدراسة النقدية ،رغم ما يتطلب منه ذلك من جهد للإلمام بكل منهج على حدة ، مع ترميم بعض المعطيات النظرية بسد نقائصها وثغراتها. من أجل إضاءة جوانب النص من زوايا متعددة

يتجدد الفكر النقدي السياقي بتجدد مقولاته مع عدد من الدارسين منهم حميد الحمداني من خلال ذلك الحوار بين السوسيولوجيا ومناهج الدراسة النقدية النصية، إذ بدأت المناهج النصية تفقد نقاءها وانغلاقها على نفسها وبدأت تنحو نحو التشارك في الدراسة النقدية، لاسيما في الدراسات التي انبنت على رؤية سوسيولوجية بينة، فتجمع بينها وبين الرؤية الحداثية، نلمس جذور هذا التهجين النقدي عند ميخائيل باختين في الحوارية النقدية التي كان يدعو إليها حين قطع صلة النص بكل مرجع خارجي وبالواقع الاجتماعي ليحافظ على استقلالية الشكل وعزلته ؛ ليستبدله بواقع النص ذاته من خلال سوسيولوجيا النص أو سوسسيولوجيا اللغة وما تحمله أصواتها ومفرداتها من إحالات على الواقع، فاستبدله بأيديولوجية اللغة وما يبدو فيها من آثار الواقع، وكذلك عند لوسيان غولدمان في تنظيراته حول البنيوية التكوينية؛ الذي ماثل بين النّص والواقع؛ وبين السوسيولوجيا المتحققة من خلال التأويلات المحيلة على الواقع كمرجع، أي التّماثل بين البنية النصّية وبنية الواقع السوسيولوجي لاكتشاف رؤية للعالم.

و قد حقق هذا التهجين في الدراسات السردية النقدية نتائج واعدة نلمس شيئا منها عند الناقد المغربي د. حميد لحمداني الذي دعا إليه في عدد من كتبه تنظيرا وتطبيقا،خاصة في كتابيه: " من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية، رواية

المعلم علي نموذجا" وكتابه "النّقد الرّوائي والأيديولوجيا: من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي "، وقد عد هذا التركيب والتهجين خلقا جديدا في النقد العربي في مواجهة النقد الغربي المتسارع في إنتاج المناهج النقدية، ففي كتابه: "من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية " استعار أدوات التحليل من مصدرين نقديين وهما حوارية باختين وتكوينية غولدمان، فمطمح حميد الحمداني كان دائما يتجه نحو البحث عن منهج نقدي مركّب،

ولقد استهل دراسته هذه بمدخل منهجي عرضه على النحو الآتي:

تحدث في القسم الأول عن علاقة السوسيولوجيا بالأدب الرواية خاصة: معتبرا سوسيولوجيا الرواية منهجا نقديا يعنى بالرواية من الناحية الاجتماعية، وذلك لكونها من أكثر الفنون الأدبية تناولا لقضايا المجتمع، و حجمه يؤهله للاستعانة بتقنيات الفنون والعلوم الأخرى، مبينا اهتمام كلا من لوكاتش و غولدمان بهذا النوع من الأدب في دراساتهم المنطلقة من الأساس السوسيولوجي، كما أشار إلى بدايات الدراسات السوسيولوجية خاصة عند بليخانوف الذي كانت تستهدف دراساته البحث عن المدلول الاجتماعي في الأدب.

يوضح مفهوم سوسيولوجيا الرواية: بأنه ذلك " المنهج النقدي الذي يدرس الفن الروائي من وجهة نظر اجتماعية، إذ تنطلق كل سوسيولوجيا تهتم بالأدب بشكل عام أو بالرواية خاصة، من الفكرة القائلة بأن الأدب ظاهرة فكرية اجتماعية. (الحمداني، 1984).

وتحدث في القسم الآخر عن: "البنيوية التكوينية خطوة حاسمة حول بناء سوسولوجي للرواية "مبينا فيه الجهد التأسيسي للوكاتش، و البعد النظري المتكامل لغولدمان، موضحا عناية هذا النمط من الدراسات بشقين هما التكون أو التطور: "البنيوية التكوينية تقول باستقلال المادة الأدبية وارتباطها في نفس الوقت بالبنى المحيطة بها وأهمها البنى الفكرية التي تتناظر معها " (الحمداني، 1984)، وبذلك فالتكوين يرتبط بمسألة التطور يقول: " فأي ظاهرة فنية مهما كان قدر استقلالها، فهي لا تفهم فهما كاملا إلا عندما تربط بسياقها الفكري والاجتماعي العام " (الحمداني، 1984)

تحدث في القسم الآخر عن"أهمية الاتجاه البنيوي ودوره في ميلاد سوسيولوجيا النص الروائي" موضحا أهمية الاتجاه البنيوي في الكشف عن البنى الداخلية للنص السردي، يقول: "إن الحديث عن البنية سمح في نطاق المذهب البنيوي التكويني بالتعامل المرحلي مع الأدب و مع الرواية كبنية قائمة بذاتها، يمكن تحليلها داخليا، وكشف العلاقات المتحكمة في تكوينها" (الحمداني، 1984)

وفي القسم الذي عنونه ب" سوسيولوجيا النص الأدبي ومحاولة التوجه للساني البنائي " حاول فيه التمييز بين سوسيولوجيا النص عن باقي السوسيولوجيات من حيث أنها استفادت من الدراسات اللسانية والبنائية، وبذلك لم تكن غريبة عن البنية الأدبية.

وتناول في القسم الأخير " لماذا التحليل السوسيوبنائي بالذات؟ " حيث بين أن هذه الصيغة المنهجية المقترحة لدراسة الرواية العربية عامة والمغربية خاصة كانت بسبب بعض الاحتياطات التي تبين رغبته في الابتعاد عن استخدام مصطلحي البنيوية وسوسيولوجيا النص. (الحمداني، 1984).

بينما قسم الدراسة التطبيقية إلى قسمين:

- **مستوى الفهم:** حلل فيه الرواية من الداخل، وبين أنه تهيمن عليها الرؤية من الخلف، ثم أشار إلى بعض التقنيات المعتمدة كالحوار الذي يتخلل السرد، والوصف الأنتوغرافي.

- **مستوى تفسير الرواية:** تطرق فيه إلى الإديولوجيات المتصارعة في النص من وجهة نظر سوسيولوجيا النص، وهنا كشف عن الإديولوجيات الكامنة خلف كتابات عبد الكريم غلاب، وبذلك جمع في دراسته السردية بين منهجين نسقي وسياقي أي بين البنيوية والسوسيولوجيا،يقول:"هذه الموسوعية التي تتميز بها الرواية هي التي أهلتها لتحتل مكانة أساسية لدى سوسيولوجيا الأدب،هذا ما يفسر كون أغلب الدراسات التي كتبت وفق منهج سوسيولوجي تتخذ الرواية مادة أساسية في مجالها التطبيقي" (الحمداني، 1984).

فالجديد الذي تحدث عنه والذي هو نتاج التأليف بين منهجين" سسيولوجيا النص "التي تعني أن النص الأدبي وخاصة النص الروائي موطن لتصارع الأصوات الإديولوجية، (الحمداني، 1984).

ثم يصرح بهذا الإجراء التركيبي مقدما ما يفسر هذا الاختيار فيقول: " تأتي صيغة التحليل السوسيوبنائي كتركيب طبيعي لإظهار الاستفادة المتوازنة من المناهج السوسيولوجية ومن المناهج البنائية، ..، ويهدف من وراء ذلك إلى اختبار بعض المنطلقات المنهجية (الحمداني، 1984).

هذا التطور في ظل المنهج السوسيو/نصي الهجين والمركب كممارسة نقدية كان قد أفاد من مناهج سادت سابقا وأخرى معاصرة،وبذلك يكون المنهج السوسيو/نصي قد اختلف في طريقته عن المنهج السوسيولوجي الذي يربط بين النّص والواقع الاجتماعي،كما تجاوز أسس البنيوية التكوينية،عن طريق انفتاحه على الجانب الجمالي، فيكون قد تمرد على مقولة نقاء المنهج.

خاتمة:

خلصت الدراسة بعد هذا المسار التنظيري إلى النتائج والتوصيات الآتية:

-مال النص الأدبي المعاصر نحو الغموض والتعقد والكثافة، يصبح معه من غير الممكن مقاربته في شموليته وفق آليات المنهج الواحد، مما يستوجب القراءة وفق المنهج التركيبي.

-لذلك أفرزت الحداثة النقدية في الغرب جملة من المناهج لمقاربة النصوص،وبمرور الزمن انكشفت نقائص تلك الطرائق حين كثرت الدعوات بقصور المنهج الواحد عن مقاربة جوهر النص، فمالت الدراسات النقدية نحو التأليف والتركيب بين منهجين فأكثر،يستفيد من ذلك النص.

-صار لزاما اللجوء إلى الإجراء النقدي التركيبي، إذ لا يزال النقد يشتكي من غياب منهج نقدي كامل يكمل من خلاله تناول الظاهرة الأدبية بشكل استقصائي يصل إلى مقاصدها وجمالياتها بالكامل، ثم إن الاتكاء على منهج نقدي واحد يعد ضربا في الأفق النقدي، والأمر كله في يد الناقد فمؤهلاته النقدية والثقافية تؤهله إلى انتقاء ما يستعين به في تفسير النص وتأويله .

-ضرورة الاستفادة من كل مستجدات الساحة النقدية الغربية بالانفتاح عليها، وبالدعوة في الآن ذاته إلى تأصيل النقد العربي ،عن طريق التوفيق بين أدواته وآليات النقد الغربي.

-السعي إلى إعادة النظر في آلياتنا النقدية العربية، بحثا عن منهج نقدي عربي يحمل سمات خصوصيتنا العربية.

إن الاستعانة بالمناهج النقدية السياقية والنسقية في المقاربة التركيبية أمر لابد منه، مع ضرورة مراعاة الأصول الثقافىةوالحضارىة التي أوجدت تلك المناهج النقدىةالغربىة، وما في ذلك من مخاطر على منجزنا الأدبى والنقدي، وفي ظل غياب نظرية نقدية عربية متكاملة

-تسعى الرؤية الشمولية أو النسقية أو نظرية الأنساق المتعددة في المقاربة النقدية أو الثقافية المعاصرة إلى تجاوز أحادية النظر ، والتمرد على النظرة الجزئية ، و هوما يؤدي إلى انفتاح الأدب على المفاهيم والمبادئ العلمية ونسقية الثقافة، لتخرج الدراسة من سلطة المنهج الواحد نحو التعدد

الحذر من الوقوع في الانتقائية والتلفيقية باستدعاء مناهج ونظريات نقدية و، ثم البحث عن الآليات القابلة للإستخدام في إطار التشاركي والتكاملي.

ليست هذه المقاربة التركيبية حكرا على الأدب والنقد الأدبي فقط، بل يمكن توسيعها لتشمل أنساقا ثقافية أخرى في ظل ما يسمى بالنقد الثقافي أو نسقية الثقافة.

كان حميد الحمداني في مشروعه النقدي من الداعين إلى تصور منهجي شامل ومنفتح وفق التعددية المنهجية ،يراعي الخصائص الجمالية للنصوص ؛مستهدفا مقاربة النص في كل مستوياته الشكلية والدلالية،من أجل صياغة نظرية شاملة موظفا المناهج والنظريات اللسانية والنقدية ثم التأليف بينها في انسجام، ثم تطويعها لصالح الظاهرة الأدبية بعيدا عن الانتقائية والتلفيقية.

المراجع

المرجع باللغة العربية

1. أحمد الشايب. (1994). أصول النقد الأدبي . مكتبة النهضة المصرية: القاهرة(176).
2. بسام قطوس. (0000). دليل النظرية النقدية المعاصرة مناهج وتيارات،ص(196).
3. جابر عصفور. (2014). تحديات الناقد المعاصر. دار التنوير للطباعة والنشر. لبنان - بيروت:ص(176،176).
4. جميل حمداوي. (2019). مناهج النقد الأدبي المعاصر(الشكلانية -البنيوية اللسانية - البنيوية التكوينية -البنيوية الدياكرونية -السيميائيات -الأسلوبية). الناظور: دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني.(146، 148، 151).
5. الحارثي محمد بن مريسي. (ديسمبر 2000). تأويل النص الأدبي. مجلة علامات في النقد ، 38 (مجلد 10).ص(92، 93، 76، 77).
6. حميد الحمداني. (1984). من أجل تحليل سوسيو بنائي للرواية رواية المعلم علي نموذجا. مؤسسة بشرى للطباعة والنشر، منشورات الجامعة. الدار البيضاء:ص(20، 18، 21، 10، 09، 05).
7. خمري حسن. (2011). سرديات النقد في تحليل آليات الخطاب النقدي المعاصر. دار الأمان. الرباط:ص(53،71،34،72،16،50).
8. سيد بحراوي. (1993). البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث. دار شرقيات.القاهرة:ص(116،117).
9. صلاح فضل. (2002). مناهج النقد المعاصر ومصطلحاته. ميرث للنشر والمعلومات، القاهرة:ص(190).
10. طبانة بدوي. (1986). التيارات المعاصرة في النقد الأدبي. دار المريخ للنشر. الرياض:ص(48،40).
11. عبد العزيز حمودة. (1998). المرايا المحدبة. سلسلة عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت:ص(30،77).
12. عبد العزيز حمودة. (2003). الخروج من التيه دراسة في سلطة النص. سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت:ص(175، 282، 177،102).
13. عبد الله محمد الغدامي. (2005). النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء:ص(41، 274، 64).
14. علي حرب. (2005). نقد النص. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب:ص(11، 15، 18، 06).

15. محمد مفتاح. (1996). التشابه والاختلاف نحو منهاجية شمولية. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،ص(30).
16. ملحم إبراهيم أحمد. (2016). تحليل النص الأدبي ثلاث مداخل نقدية، عالم الكتب الحديث ،الأردن،ص(147، 149، 148).
17. وليد القصاب. (2009). مناهج النقد الأدبي الحديث،دار الفكر، دمشق:ص (209،13،208).

المراجع مترجمة:

18. إمبرت إنريك أندرسون. (2000). مناهج النقد الأدبي. (الطاهر أحمد مكي، المترجمون) القاهرة.ص(219، 220).
19. تومبكنز جين. (1998). نقد استجابة القارئ من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية. (حسن ناظم و علي حاكم، المترجمون) المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.ص(121).
20. مجموعة من الكتاب. (1997). مدخل إلى مناهج النقد الأدبي (المجلد 221). (رضوان ظاظا، المترجمون) سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون،الكويت:ص(08).
21. ميخائيل باختين. (2011). جمالية الإبداع اللفظي. (شكير نصر الدين، المترجمون) دمشق، دال للنشر والتوزيع،سوريا:ص(37، 379).